أثار الجزيرة العربية ابان العصور القديمة – دراسة تحليلية

أ.م.د.حسين يوسف حازم
كلية الآثار-جامعة الموصل

ملخص البحث:

شكلت الجزيرة العربية أحد أهم مناطق ومراكز الحضارة الانسانية العالمية عبر الفترات التاريخية والحضارية لهذه الحضارة التي ساهمت حضارة الجزيرة العربية بإغنائها واشعاعها الانساني وتكاملها مع الحضارات الانسانية الاصلية المعروفة في العالم مشكلة بوتقة ومرتكزاً حيوياً هاماً من بودقات الانصهار الحضاري الذي أمد الانسانية البشرية بكل عناصر ومقومات الحضارة والتطور والتمدن والارتقاء الفكري والانساني خلدت تلك الحضارة بمنجزاتها وتأثيراتها عبر العصور والاجيال المتعددة والمتلاحقة. وقد حظيت حضارة الجزيرة العربية بمقومات وعناصر مميزة ومكنتها من أخذ دورها وشق طريقها نحو العالمية لآلاف السنين ومنها موقعها المميز بين ثلاث قارات هي آسيا، أفريقيا وأوربا الذي جعل طرق المواصلات الدولية التي تربط بين تلك القارات الثلاث عبر اراضيها مما كان له تأثيره الكبير على الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية فيها. كما أن وجود مراكز العطاء الحضاري المتقدم في اطرافها ووجود حاجة ملحة للتبادل التجاري عبر أراضيها قد أفسح المجال لنشوء مدن على طرق التجارة التي تربط شمالها بجنوبها مما جعل هذه المدن مراكز للتبادل التجاري والتفاعل الحضاري.

وتمثل اهمية دراسة آثار منطقة الجزيرة العربية في القاء الأفاق الجديدة التي تبين وتبرز الجوانب الحضارية والتاريخية لهذه المنطقة منذ أقدم العصور، إذ قدمت أعمال المسح والتنقيب التي أجريت فيها اسهامات هامة متعددة في اعادة تركيب تاريخ هذه المنطقة وابراز دورها بين حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم. وقد كشفت تلك الأعمال والمسوحات والتنقيبات الأثرية عن مخلفات وبقايا وآثار رسمت الصورة الحضارية المتكاملة للمنطقة بما مثلته من جوانب وسمات أعطيتها بعداً وعمقاً تاريخياً وحضارياً وكشفت عن تاريخ موغل في القدم يمتد لآلاف من السنين كما كشفت عن اعمق وأقدم صلاتها مع المراكز الحضارية المعروفة في المنطقة وقيام مراكز وحضارات متعددة ومتنوعة فيها والتي سنتناولها ونتطرق اليها في البحث. وتنعكس الآثار القديمة المكتشفة في منطقة الجزيرة العربية بالإضافة إلى عمقها التاريخي والحضاري عن دلالات ومفاهيم حضارية عدة سنحاول أن نركز عليها ونتطرق إليها بشيء من التفصيل والتحليل والاستنباط والتي من خلالها ولأهميتها الكبيرة والبالغة تولدت وانطلقت فكرة البحث في مضمون هذا السياق الذي يتناول هذا الموضوع لأهميته التاريخية والحضارية الكبيرة لحضارة موغلة في العمق التاريخي والحضاري وحلقة كبيرة وهامة ومكملة لحضارات منطقة الشرق الأدنى القديم خاصة والحضارات الانسانية عامة.

شمل البحث ثلاث مباحث حاولنا من خلالها عرض وحصر المعلومات الخاصة به من خلالها بما يوضح فكرته ومضمونه بما يلائم الصورة العامة له والمعلومات المتعلقة به ويكشف من خلالها اهميته وبعده وعمقه التاريخي والحضاري. إذ تناولنا في المبحث الاول الجزيرة العربية ودورها التاريخي والحضاري ابان العصور القديمة كتمهيد تاريخي وحضاري. وابراز لهذا الدور الكبير والهام عبر العصور القديمة ومكانته ودوره وتأثيره على حضارات المنطقة جمعاء. فيما تطرقنا في المبحث الثاني إلى التنقيبات الأثرية التي أُجريت في المنطقة ودورها في الكشف الآثاري للآثار والمخلفات القديمة فيها مشيرين إلى أهم نتائج تلك التنقيبات وما كشفته من آثار ومخلفات وبقايا أعطت صورة واضحة وجلية لتاريخ وحضارة المنطقة وأصالتها تاريخياً وحضارياً. وتناولنا في المبحث الثالث أهم الدلالات الحضارية للآثار القديمة في الجزيرة العربية التي مثلت دلالات ومفاهيم وجوانب حضارية كبيرة وهامة حاولنا استنباطها من خلال دراستنا وتحليلنا لتلك الآثار والمخلفات الهامة.

أثار الجزيرة العربية ابان العصور القديمة – دراسة تحليلية

أ.م.د.حسين يوسف حازم

Archaeology Of Arabia During Ancient Times – An Analytical Study

Assistant professor
Hussein Y. Hazim
Collage of Archaeology

Summary

The Arabian peninsula formed the most important of the most important areas of cuitures of centers of human civilization through the historical and civilized periods of the Arab island civilization and its human fisher man offered in the word. The Arabian peninsula a civilization has made specificities and elements of the entirely and took their way to the world's fairly, including its distinct location between three continents Asia, Africa and Europe which made the means of international transport links between those three continents across their territory, which had a great impaction the economic and cultural life where the presence of cultural centers in its parties and the existence of an urgent need for trade exchange arrossist territory has won the cities of trade on the ways of trade linking North of them making them cities to trade and cultural interaction research contain (3) researcher. The first spread of the Arabian peninsula and its historical and civilized role during the ancient times-is a historic and civilization boot. While in the second spreads the arch archeological ceremony in the region and its role in the archeological detection of ancient effects and decorations. In the third issue, we have taken the conclusion and conclusion of the subject and the chairman of the president of the most important cultural implications of the ancient impacts of the Arabian peninsula, which has been established by the confederations and concepts of concluding and great cultural and important aspects that we tried to repentance through our studies and analysis of these effects and general insulations

المقدمة:

شكلت منطقة الجزيرة العربية أحد أهم المناطق ومراكز الالتقاء الحضاري للحضارة الانسانية بوجه عام وحضارات منطقة الشرق الأدنى القديم بوجه خاص لما شهدته وحظيت به من مكانة تاريخية وحضارية كبيرتين عبر عصورها الطويلة الموغلة في القدم وما قدمته من منجزات وتطورات وتأثيرات حضارية هامة و بالغة تركت بصمات واضحة على حضارات المنطقة على وجه الخصوص بفضل المقومات والعناصر والمرتكزات الحضارية الكبيرة والهامة التي حظيت وامتازت بها. وفي مقدمتها الموقع الجغرافي والاستراتيجي الهام الذي اعطاها خصوصية مميزة بوقوعها بين ثلاث قارات آسيا، أفريقيا وأوربا الذي جعل من ارضيها ومناطقها ممرا" لطرق المواصلات الدولية التي تربط بين تلك القارات وما عكسته من تأثيرات كبيرة وهامة على أوجه جوانب الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية فيها. كما ساهم ذلك العامل الهام في قيام المراكز الحضارية الكبيرة في مناطقها والتي شهدت قيام اتصالات وعلاقات كبيرة ومتشعبة مع مراكز الحضارة في المناطق المجاورة لها في بلاد الرافدين والشام ومصر وايران لتمتد إلى مساحات ومناطق أعمق وأبعد مع بلاد وادي السند وما جاورها لتشهد قيام وازدهار العمليات التجارية والتبادل المشترك الذي اسهم بشكل كبير في تطور وانعاش تلك المراكز والمنطقة بوجه عام وما أفرزه من تأثيرات وتفاعلات حضارية كبيرة مشتركة أسهمت في تعزيز وقيام المقومات الحضارية ورسم حضارة المنطقة برمتها. اضافة إلى قيام وظهور حضارات بارزة فيها كحضارات شبه جزيرة عمان وشرق الجزيرة العربية وغيرها. وقد شكلت اعمال التنقيبات والمسوحات الأثرية التي اجريت في المنطقة اهمية كبيرة والتي بدأت تقريباً منذ

النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتلقي الضوء على الجوانب التاريخية والحضارية لها منذ أقدم العصور ومدى عمق وقدم حضاراتها والتواجد البشري فيها حسب اشارات بعض الباحثين الذين يحددون التطورات الحضارية فيها وبشكل رئيس في الجزء الشرقي منها في الفترة المحصورة بين (٥٠٠٠-١٢٠٠ ق.م) واستمرارها حتى فترات العصور التاريخية المبكرة. وقد قدمت الآثار والمخلفات المكتشفة في مناطقها سواءً الشاخصة كالمعابد والمدافن أو اللقى الأثرية كالفخاريات والأختام وغيرها عن صورة جلية لقيام حضارات انسانية كبيرة فيها، وعمق ترابط وصلات مناطقها ومراكزها الحضارية مع مناطق الشرق الأدنى القديم والمناطق المتاخمة لها حتى جنوب شرق آسيا من خلال ما تم العثور عليه من تلك المخلفات والآثار سواءً فيها أو تلك المناطق التي بينت مدى التأثير والتأثر والاندماج والتواصل الحضاري فيما بينها وبشكل خاص الفخاريات والأختام.

وفيما تقدم ومن هذا المنطلق تولدت فكرة البحث التي جاءت انعكاساً لما أفرزته تلك الآثار والمخلفات من عمق تاريخي وحضاري كبيرين ودورهما البالغ والهام في الكشف عن دلالات ومفاهيم حضارية أعطت صورة حية وواضحة لتاريخ وحضارة المنطقة ودورها الكبير بين حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم خاصة والحضارات الانسانية عامة.

تضمن البحث ثلاث مباحث مثلت محاورة الرئيسة. إذ تناولنا في المبحث الأول: الجزيرة العربية ودورها التاريخي والحضاري ابان العصور القديمة-تمهيد تاريخي وحضاري، فيما تطرقنا في المبحث الثاني: التنقيبات الأثرية ودورها في الكشف الآثاري للآثار والمخلفات القديمة في الجزيرة العربية، وتناولنا في المبحث الثالث: الدلالات الحضارية للآثار القديمة في الجزيرة العربية.

اعتمدنا في دراستنا للبحث على عدد من المصادر المتخصصة والقيمة التي أخذنا واستنبطنا معلوماتنا منها ومن أهمها: كتاب محاضرات في تاريخ العرب-صالح احمد العلي، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية-رضا جواد الهاشمي، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام-هاشم يحيى الملاح.

The late prehistoric, proto historic and early historic periods in eastern Arabica (ac 5000-1200 B.C), potts, D. T., prehistory in northern arabia-Oates, J.

وغيرها من المصادر.

وفي الختام نتمنى أن نكون قد وفقنا في تقديم البحث واعطاء صورة وافية عنه بالمنهج العلمي والبحثي المعهود وبيان الحقيقة العلمية بصورة صحيحة وواقعية وفق المصادر والأدلة المتناولة. ومن الله التوفيق.

المبحث الأول
الجزيرة العربية ودورها التاريخي والحضارية
ابان العصور القديمة-تمهيد تاريخي وحضاري

تبرز أهمية دراسة آثار الخليج والجزيرة العربية فيما يمكن أن تلقيه من اضواء جديدة على تاريخ وحضارة العرب القدماء[i]. فجهود أولئك الأقوام في سعيها نحو تحقيق احتياجاتها الحياتية والارتفاع بمستوى معيشتها نحو آفاق حضارية فضلى قد تأثرت بقوة بأوضاع شبه الجزيرة العربية الجغرافية والمناخية فجاء تاريخها جهاداً متصلاً من أجل مغالبة قوى الطبيعة الصعبة والتكيف مع أوضاعها المتباينة. ومن ثم كانت دراسة احوال شبه الجزيرة العربية من حيث موقعها وتضاريسها ومناخها ومواردها الطبيعية مقدمة ضرورية للتعرف إلى جهود الانسان وهو يتفاعل مع هذه البيئة الجغرافية من أجل صنع حاضرة وضمان مستقبله عبر المنجزات الحضارية التي حققها في حقب التاريخ المختلفة[ii]. لقد وصف الجغرافيون العرب شبه الجزيرة العربية بصفة "جزيرة العرب" وذلك لإحاطة المياه بها من جميع الجهات تقريباً حيث يحيط بها من الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب بحر العرب ومن الغرب البحر الاحمر، ومن الشمال نهر الفرات. ومن الواضح أن نهر الفرات لا يشكل حاجزاً مائياً طبيعياً بمستوى البحار الثلاثة التي تحيط بشبه الجزيرة العربية وقد ساعد هذا الواقع على قيام تواصل بشري وحضاري بينها بين أطرافها الشمالية في العراق والشام، وقد تمثل ذلك بصورة رئيسة في هجرات القبائل العربية نحو الشمال على مدار التاريخ. وقد أطلق على شبه الجزيرة هذه صفة "العربية" استناداً إلى اسم اللغة التي يتكلمها

سكانها، فقد ذكر الهمداني ان جزيرة العرب استمدت صفتها العربية من لسان اهلها، حيث أن "للسان العربي في كلها شائع"[iii]. وكان أول من أطلق على مجموع أقاليم شبه الجزيرة العربية اسم "العربية" هم الأغريق، إذ أطلقوه على كامل البلاد الممتدة من "بادية الشام إلى الفرات في الشرق والمحيط الهندي في الجنوب" وكان أول استعمال محقق لكلمة عرب صفة لهؤلاء السكان أو لقسم منهم "البدو"[iv].

ان اقدم اشارة في النصوص عن العرب أو (القبائل العربية) وردت في العصر الآشوري الحديث في زمن الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م)[v]. ومن ثم ذكر العرب في حوليات الملوك الذين جاؤوا من بعده مثل تجلا تبليزر الثالث وسرجون الثاني وسنحاريب واشوربانيبال فضلاً عن بعض الكتابات التي تعود إلى العصر الكلدي (العصر البابلي الحديث ٦٢٦-٥٣٩ ق.م) وتحديداً في زمن الملك بنونائيد، كما تردد ذكرهم في العهود التالية التي سبقت الاسلام في النصوص الآرامية[vi]. وقد وردت في النصوص المسمارية اشارات عدة إلى أسماء القبائل العربية التي سكنت مناطق شبه الجزيرة العربية وأطرافها، فقد وردت أول اشارة اليهم بتسمية (عرب) و(عربي) في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، إذ ذكر في حوليات الملك الآشوري شلمنصر الثالث تحديداً أثناء حرب ضد تحالف الممالك والأقاليم السورية في معركة القرقار عسام (٨٥٣ ق.م)[vii]. كذلك تردد ذكرهم في النصوص بصيغة (Mat Aribi) أي بلاد العرب وهي تسمية تحمل في طياتها دلالات للموقع الجغرافي الذي سكنته تلك القبائل العربية وهي شبه الجزيرة العربية[viii]. وقد شكلت منطقة شبه الجزيرة العربية مسرحاً هاماً لأهم الهجرات المعروفة في تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم، إذ ظلت العلاقة بين سكانها وأطرافها وثيقة طوال الأزمنة التاريخية، حيث كانت تجري هجرات متعددة من داخل منطقة شبه الجزيرة العربية إلى أطرافها وهذه الهجرات بعضها موسمية أو محدودة كهجرات الرعاة الذين يتجولون وراء المراعي فيدخلون العراق وسوريا لمدة مؤقتة خاصة في فصل الصيف والربيع ثم يعودون إلى شبه الجزيرة وفي بعض الأحيان ينتشرون في أطراف الهلال الخصيب أو يستوطنون مناطق معينة فيه، وخاصة عندما لا تعيقهم عن ذلك الظروف السياسية. وفي بعض الأحيان تجري هجرات واسعة تحمل عدداً كبيراً من الناس إلى بلاد الهلال الخصيب[ix].

وقد ولدت الأوضاع الجغرافية بشبه الجزيرة العربية تأثيرات حاسمة وبالغة الأهمية على حياة سكانها في نواحٍ متعددة كان من أبرزها: البداوة والحضارة، التفاعل الحضاري والهجرة إلى المراكز الحضارية[x]. وكانت شبه الجزيرة العربية حسب المصادر المتخصصة في فترة عصر الجليد كثير المياه والأمطار وتجري فيها الانهار والجداول وتنتشر فيها الغابات والاشجار والحشائش وفيها العديد من الفصائل الحيوانية المتنوعة ومن الدلائل القوية على خصب المنطقة وفرة المياه فيها في الأزمان القديمة وكثرة الوديان ووجود قيعان بعض البحيرات المندرسة كالبحيرة اليابسة قرب تيماء وبقايا البحر المسمى "أبو بحر" في الربع الحالي ومدرجات الوديان واطلال القرى والمدن المنتشرة هنا وهناك في تيماء وفي غيره[xi].

وتشير الدراسات المتخصصة لعدد من الباحثين المختصين إلى قيام مجموعة بشرية ولأول مرة بالهجرة من أفريقيا إلى آسيا عن طريق سيناء مثل مواقع: أم قطفة، مغاور الكبارا، العبدلية في بلاد الشام ودخولها شبه الجزيرة العربية من الشمال مثل موقع: الشويحطية أو عبر مضياق باب المندب مثل موقع: شعيب دحضة وهو فرع من وادي نجران[xii]. ويشير بعض الباحثين إلى أن الفترة المحصورة (٥٠٠٠-١٢٠٠ ق.م) قد شهدت المنطقة خلالها وبشكل رئيس الجزء الشرقي منها تطورات حضارية استمرت حتى فترة العصور التاريخية المبكرة[xiii]. إذ اكتشفت في المنطقة الشرقية حوالي اربعين موقعاً استيطانياً تعود إلى فترة ثقافة العبيد منها مواقع مهمة مثل موقع الدوسرية وموقع عين السيج وعين قناص وابو خميس[xiv]. وتعتبر تلك المواقع صغيرة جداً مقارنة مع المواقع العبيدية في بلاد الرافدين. وقد جمعت هذه المنطقة وبيئتها القديمة المتنوعة من صحاري وبحيرات وواحات وانهار وشواطئ عبر آلاف السنين مجموعات بشرية واقوام عاشت حياة البداوة والاستقرار والتأقلم في ظل المتغيرات البيئية والجغرافية هذه المتغيرات صنعت ثقافتها[xv]. ويشير الدراسات الاثرية المستندة إلى نتائج التنقيبات الأثرية إلى وجود مراكز استيطان عديدة في شمال شرق الجزيرة العربية تنتمي وتعود من الناحية الحضارية إلى حضارة العبيد في العراق، إذ تقع تلك المراكز في اطراف الساحل وفي داخل المنطقة الشرقية من السعودية مما يشير إلى وجود اتصال حضاري بينهما[xvi]. وقد برزت أهمية المنطقة كطريق تجاري عام واستمراره في التجارة والاتصالات البشرية منذ أقدم العصور[xvii]. وقد كشف في عدة مواقع واقعة على طول القسم الشرقي الساحلي من شبه الجزيرة العربية عن تأثيرات حضارية عراقية واضحة في أنواع من الأدوات الفخارية العبيدية نتيجة الصلات التجارية المتبادلة بين الجانبين آنذاك[xviii].

المبحث الثاني
التنقيبات الأثرية ودورها في الكشف الآثاري للآثار القديمة في الجزيرة العربية

شكلت أهمية دراسة آثار منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية اهمية كبيرة وبالغة في القاء آفاق جديدة تعرف بالجوانب الحضارية والتاريخية لهذا المركز الحضاري منذ أقدم العصور. فقد قدمت أعمال المسح والتنقيب التي جرت في المنطقة ما يمكن أن يساهم في اعادة تركيب تاريخها وابراز دورها في سياق حضارة الشرق الأدنى والعالم. إذ أسهمت المصادر الآثارية المستندة إلى بقايا المخلفات الأثرية في وضع هذه المنطقة في قلب الأحداث وصميم البناء الحضاري وكشفت عن قدم الاستيطان فيها والذي يعود إلى أقدم العصور الحجرية والقديمة، كما أنها عرفت على الموقع الحضاري المهم والمتميز الذي شغلته وعلى تفاصيل وعناصر حضارتها ومساهمتها البناءة في رفد الحضارة الانسانية[xix].

وفي هذا السياق سنقوم بتناول الموضوع من شقيق رئيسيين يتمثل الأول بدراسة المراكز الحضارية في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية وصلاتها بالمراكز الحضارية في منطقة الشرق الأدنى القديم والمناطق المجاورة لها والتعرف على أبرز المخلفات والآثار فيهما للوصول إلى قيمة وأهمية تلك الآثار والمخلفات وطبيعتها ودراسة طبيعة المواقع الاقتصادية والاجتماعية الذي كشفته تلك المخلفات والآثار وكذلك سنتناول في الشق الثاني أبرز التنقيبات الآثرية في المنطقة وأهم الاكتشافات وطبيعتها ورسم طبيعة المواقع الاقتصادية والاجتماعية فيها من خلال دراسة المخلفات والآثار المكتشفة فيها وابرز المراكز الحضارية فيها.

شكلت المراكز الحضارية في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية حاضرة **** وكبيرة وفيها من المعلومات والأدلة الأثرية ما يشير إلى مكانتها ودورها البارز في المنطقة وعلاقتها وصلاتها الحضارية مع المناطق المجاورة لها. وعلى الرغم من أن دراسة تاريخ وحضارة المنطقة في عصورها القديمة تعد من المباحث الحديثة المنشأ في مجمل دراسات الشرق الأدنى القديم إلا أن النتائج التي توصلت اليها جهود العديد من البعثات التنقيبية خلال المربع الأخير من القرن العشرين تسمح للباحثين المختصين برسم صورة شبه واضحة عن بعض الجوانب التاريخية والحضارية للمنطقة وبخاصة في أنشطتها الحضارية وصلاتها الرئيسة وبشكل خاص عمق صلاتها بحضارة بلاد وادي الرافدين التي تحتل مركز الصدارة في هذا الجانب[xx]. أن دراسة آثار المنطقة ومراكزها الرئيسة تشكل اضافة معلومات جديدة تصل إلى سجل الأحداث الانسانية القديم الذي سيترك أثره دون ريب على مجمل الدراسات التاريخية والحضارية لأن حدود المعرفة التاريخية بأحداث الماضي رهينة بما تكشف عنه الحفريات والمسوحات والاستكشافات الأثرية لذا تعد الدراسات الحقلية الواسعة في المنطقة مساهمة فاعلة في الكشف عن العمق الحضاري لهذه المنطقة.

كما تكمن أهمية هذه الدراسة فيما توثقه وتؤكده من وجود صلات وثيقة بين هذا المركز الحضاري والمراكز الحضارية الكبيرة مثل بلاد الرافدين والسند وعيلام ومراكز المشرق مثل سوريا وبلاد الأناضول فضلاً عن المراكز الآسيوية الداخلية ويمكن القول أن الدراسات الآثارية في هذه المنطقة تهيء الآفاق الواسعة للتوغل في اعماق تاريخ هذه المنطقة[xxi]. ان دراسة طبيعة المكتشفات للقى والمواد الأثرية المكتشفة بين المراكز الحضارية في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية والمراكز الحضارية المجاورة لها والتي لها علاقات اقتصادية أو اجتماعية معها تعكس حقائق هامة تقدم صورة توضيحية للواقع العام للمنطقة برمتها ومنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية فالمواد الأولية التي استوردها سكان المستوطنات والقرى العراقية القديمة على سبيل المثال وبشكل رئيس النحاس التي كانت تشتهر به مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية مع افتقار تلك المستوطنات والقرى العراقية القديمة له والذي كان ذات نوعية جيدة ومفضلاً على نحاس الاناضول القفقاس لكثرة نسبة النيكل فيه حسب اشارات بعض المصادر[xxii] يكشف حجم توفر هذا المعدن في المنطقة ومدى الحاجة اليه وطبيعة حجم الاتصال والاتصال بين المنطقتين ومراكزها الحضارية. إذ اشتهرت عدة مناطق ومراكز في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية بتجارة هذا المعدن وخلال مختلف العصور ومنها دلمون (البحرين) والتي كانت لها صلات تجارية متعددة مع المستوطنات والقرى العراقية القديمة[xxiii]. فضلاً عن مركز وحمان (عمان) الذي عد مركزاً تجارياً مهماً ومصدراً لتعدين النحاس[xxiv]. كذلك يلاحظ تميز منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية التي شكلت اهمية وقيمة اقتصادية كبيرة لها الحجارة الكريمة التي اشتهرت بتجارة أنواع ثمينة منها كالأحجار الكريمة بأنواعها كالجشت، اللازورد، البلور، العقيق الأحمر

والأصفر والجزع وغيره. فضلاً عن مواد اخرى كالقواقع، الاصداف البحرية، العاج، الأخشاب، اللؤلؤ، التوابل وبعض المواد الكمالية كالعطور، الدهون، البخور وغيره، فقد وردت الإشارة اليها في العصور التاريخية[xxv]. ان اعمال التنقيبات الأثرية التي أجريت في المراكز الحضارية في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية وما تم العثور عليه من مخلفات وبقايا ما وردت الاشارة اليه آنفاً يقدم الدليل الوافي لقيمة تلك المخلفات والبقايا والآثار وما تضمنته من دلائل هامة وكبيرة فمع بدء أعمال التنقيبات التي قامت بها البعثة الدانماركية في منتصف القرن العشرين في منطقة الخليج اتضح للباحثين والمهتمين بالتاريخ والآثار أنهم أمام مركز حضاري مهم، يمكن ادراجه واضافته إلى المراكز الحضارية الكبرى في منطقة الشرق الأدنى ونعني به مركز حضارة دلمون أو الخليج وقد أظهرت الأعمال الحقلية التي جرت في أماكن متعددة في المنطقة اهمية مركز حضاري يمتد في أعماق الماضي البعيد ويعود إلى أقدم العصور الحجرية[xxvi]. وتشكل جزيرة البحرين، جزيرة فيلكا، شبه جزيرة عمان وشرق الجزيرة العربية أبرز المراكز الحضارية في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية[xxvii]. وقد شكلت اعمال التنقيبات الأثرية التي أجريت في المنطقة أهمية كبيرة وبالغة فقد كشفت لنا عن الأعماق الموغلة في القدم لتاريخ وحضارة هذه المنطقة وعراقتها كأبرز مناطق الشرق الأدنى القديمة ومكملة لتاريخها وحضارتها كما كشفت من خلال ما تم العثور عليه من لقى ومواد أثرية عن مدى الترابط والتواصل والوشائج والصلات مع المراكز الحضارية والمناطق المجاورة والمرتبطة بها حضارياً بمختلف المجالات. كذلك أيضاً الثراء الطبيعي للمواد الأولية وبشكل خاص المواد النادرة التي لا تتوافر في البيئات والمناطق المجاورة وقيام سكان تلك المناطق بجلبها والاستفادة منها عن طريق المتاجرة أو بنظام المقايضة الذي يمثل أولى أوجه التبادل التجاري بين السكان والمناطق المحلية وفي الخارج بالمقابل فإن ما تم العثور عليه من مخالفات أثرية كالفخاريات والأختام وغيرها والتي كشفت التنقيبات الأثرية عنها في المنطقة وعن عائديتها للمناطق المجاورة ولاسيما العراق عن مدى الترابط والتواصل والوشائج والصلات القوية بين شكان منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية وسكان تلك المناطق وتمثل اعمال التنقيبات الأثرية في المنطقة التي قام بها الكابتن (ديوراند) في عام ١٨٧٩ أقدم أعمال التنقيبات الأثرية والمتمثلة بحقول المدافن الواسعة في الأقسام الشمالية الغربية من البحرين، إذ قام بنشر تقرير عن اعماله ووصف لتلك الحقول[xxviii].

وقد حفزت تلك الأعمال والتنقيبات المغامرين والباحثين عن آثار الشرق من الغربيين للتوجه نحو المنطقة وتحديداً البحرين ليتوالى وصول البعثات التنقيبية إلى أغلب أرجاء المنطقة مع مطلع القرن العشرين ونذكر منها لا على سبيل الحصر البعثة التنقيبية برئاسة البلجيكي (جوانين) عام ١٩٠٣ والتنقيبات الأثرية التي قام بها الأمريكي (بيتر كورنوول) في عام ١٩٤٠-١٩٤١ والبعثة الدانماركية في منتصف القرن العشرين وتحديداً في عام ١٩٥٣[xxix]. إذ يعد وصولها اضافة نوعية، فقد اضافت بعداً جديداً في دعم الاعمال السابقة المنفذة في المنطقة وقد تركزت جهودها في البداية على موقعي قلعة البحرين وموقع باربار ثم انتقلت خارج البحرين إلى جزيرة فيلكا في الكويت وإلى المناطق الاخرى في المنطقة[xxx]. وتعد الدراسات التي قدمتها هذه البعثة من اهم الدراسات التي اعتمد عليها الكثير من الباحثين في تصنيف مخلفات العصور الحجرية في مناطق شرق الجزيرة العربية ورغم كون هذا التصنيف تصنيفاً عاماً يؤخذ به في مختلف دول العالم عند دراسة مواد العصور الحجرية ومخلفاتها إلا أنه يعزى الأخذ به من قبل الباحثين في شؤون المنطقة لعصور ما قبل التاريخ كونه قد نشر في وقت يسبق الفترة التي بدأ فيها الاهتمام من قبل الجهات العلمية الخاصة وحكومات المنطقة بالبحث في تاريخها القديم، فكانت تلك المنشورات العلمية الدانماركية من أوائل المصادر التي عادوا إليها في دراستهم لمخلفات العصور الحجرية في المنطقة مع غيرها من كتب الرجالة الأجانب الذين جابوا المنطقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[xxxi].

وهكذا أحاطت البعثة الدانماركية منطقة الخليج العربي بنشاطاتها الأثرية وبفضل نتائج أعمالها رسمت تصوراً واضحاً من النشاط الانساني والحضارية القديم في هذا الجزء من الشرق الأدنى القديم والذي كان في مقدمته نشاطاتهم التجارية عامة وصلاتهم التجارية والحضارية مع بلاد الرافدين بشكل خاص. وبفضل النتائج الأولية المثيرة التي تضمنتها تقارير البعثة تحفز الكثيرون من المهتمين بآثار الشرق الأدنى القديم لمواصلة الجهود ومحاولة الدراسة التفصيلية لجوانب النشاطات في المنطقة كما ساهمت أعمال البعثة ونتائجها في تنشيط الاهتمام بالآثار في أقطار الخليج العربي فبدأ بعضها بإنشاء متاحف وطنية للآثار وتأسست دوائر الآثار وأخذ بعض الشباب الخليجي بالانصراف صوب الدراسات الأثرية والحضارية القديمة كما اصدرت بعض الهيئات الوطنية الخليجية نشرات ومجلات تعنى بالجوانب الأثرية والتاريخية القديمة والحضارية في الخليج العربي[xxxii].

ونظراً لكثرة اعمال التنقيبات والمسوحات الأثرية التي أُجريت في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية فسنشير إلى أبرز وأهم المواقع الأثرية المنقبة فيها وكالآتي:

أولاً: المواقع المنقبة في جزيرة البحرين

١. موقع رأس القلعة: يسمى أيضاً موقع قلعة البحرين أو القلعة البرتغالية.

٢. قرية باربار: تقع في أقصى الشمال الغربي من جزيرة البحرين.
٣. موقع سار: تشرف من ناحية الشمال والشرق على السهل الشمالي الخصيب لجزيرة البحرين.
٤. قرية الدراز: تقع في الشمال الغربي من جزيرة البحرين.

ثانياً: المواقع الأثرية في جزيرة فيلكا:

١. المستوطنة ف٦: تشغل التل الواقع إلى الشرق من الجزيرة.
٢. المستوطنة ف٣: تسمى محلياً باسم تل سعد وتقوم في الجهة الغربية المقابلة للقصر بيوت القرية (المستوطنة ف٣).

ثالثاً: مواقع أثرية من شبه جزيرة عمان

١. جبل هيلي: يسمى ايضاً مستوطنة هيلي ويقع في الجزء الشمالي من مدينة العين الاماراتية قرب الحدود بين أبو ظبي وسلطنة عمان.
٢. جزيرة أم النار: موقع صغير لجزيرة تقع على ساحل أبو ظبي.

رابعاً: مواقع أثرية من المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية

١. جزيرة تاروت: من المواقع الهامة في شرق الجزيرة العربية.
٢. شرق الجزيرة العربية.
٣. شبه جزيرة القطر[xxxiii].

وقد تم رصد أهم المواقع الأثرية المكتشفة والمنقبة في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية العائدة إلى فترة عصور ما قبل التاريخ والتي مثلت أهمية كبيرة وبالغة كونها تمثل عمقاً زمنياً كبيراً يعكس قدم وأهمية المنطقة وحضاراتها الموغلة في القدم وسكنها البشري ومخلفاتها الآثارية القديمة التي مثلت انجازاتها الحضارية الكبيرة ومن أهمها:

١- مواقع السعودية:

شعيب دحضة، وادي تثليث (اولدوفاني)، سكاكا، الدواسر، ليلى، عفيف، الدوادمي، الجوف، بئر جحا، وادي شرج، ظهران الدنوب، خميس مشيط، البرك، الشقيق، ابو عريش، قونيصة بني عدنان، ذراع القصب، حوان الضابطية، جبل ديران، الهفوف (الفترة الاشولية)، جبل جبرين (الفترة الفيلي-اشولي)، حائل، المجمعة، السليل، عين السيح، بئر حما (الفترة اليفولوازية)، الربع الخالي، الطائف، الدوادمي، وادي سرحان (حجري قديم أعلى)، عين الحسي، سدوس، الضوماء، خلم، الحرة، الححة، خشم شهيل، وداي الدواسر، نفود السر، عريق البلدان، الخماسين، جبل طويق، جلدة، المتبطحات، المندفن، جبل السودة، العسران، شقيق، المراح، أبا، القناص، جزر الفرسان، جيزان (العصر الحجري الحديث).

٢- موقع قطر:

الخور، عوينة البرقة، رأس عوينة علي، رأس ابو عمران، دخان، نخش، الحريثي، عقلة المناحير، سعودة نائل، أم الزبد، أم طاقة، بيرحسين (أشولي-موستيري)، حولية، رأس حسين أباروك، جبيجوب، الفريحة، القصير (الفترة الموستيرية)، السهل، بيرزكريت، أري، الرحيل، الوكرة، شقر، ام سعيد، جبل (فترة العصر الحجري القديم الأعلى)، جوليا، الحملة، شقرة، الدخان، الدعاسة (العصر الحجري الحديث).

٣- مواقع البحرين:

جبل دخان، الزلق (الفترة الأشولية)، ابو خميس (العصر الحجري الحديث)، المرخ، ديراز (العصر الحجري الحديث وفترة العبيد).

٤- مواقع الكويت:

حليبيخات (الفترة الموشيرية).

٥- مواقع الامارات:

وادي العين (العصر الحجري الحديث).

٦- مواقع عمان:

قبور الجهاد، عملة، مسكن، الدارز، يحيى المر، قرن الكبش (العصر الحجري الحديث)[xxxiv].

المبحث الثالث
الدلالات الحضارية للآثار القديمة في الجزيرة العربية

شكل اكتشاف اللقى والمواد الآثارية في منطقة الجزيرة العربية عنصراً مهماً وركيزة أساسية في الكشف عن العمق التاريخي القديم للمنطقة وخصائصها ومنجزاتها الحضارية. فطبيعة تلك المواد وخصوصيتها قد قدم الصورة الواضحة والجلية لواقع المنطقة وبعدها التاريخي والحضاري فالتنقيبات الأثرية التي أجريت فيها وما كشفته اعمال المسح والتحري أفرزت لنا حضارة المنطقة وخصوصيتها وشكلها العام ليعطيها بُعداً انسانياً كبيراً وهاماً اضافة إلى ثرائها الطبيعي والمادي في الوقت الحاضر.

سنحاول في هذا المبحث ان نستعرض اهم اللقى والمكتشفات الأثرية في المواقع والمراكز الحضارية في المنطقة ما كشفته نتائج التنقيبات والمسوحات الأثرية من لقى آثارية تعود لمواقعها ومناطقها ثم العثور عليها في المناطق والمراكز الحضارية المجاورة والممتدة لها. ومن خلال ذلك سنحاول ان نبين أهم الدلالات والمفاهيم الحضارية لها من خلال التجليل والاستنباط والوصول قدر الامكان للحقيقة والتوضيح والدليل.

فخلال فترة عصور ما قبل التاريخ ومن خلال ما تم كشفه من قبل البعثات التنقيبية المختلفة التي تعاقبت على المواقع المتعددة للمنطقة نجد أن طبيعة المخلفات الآثارية المكتشفة العائدة لتلك الفترة تعكس دلالات تتجلى في طبيعة الحياة وقيام أنشطتها في تلك الفترة الموغلة في القدم والتي تمثل طبيعة وواقع الحياة فيها. فعلى سبيل المثال رصد أثناء المسح الذي تم في عام ١٩٧٧ ما يقارب (٣١) موقعاً في السعودية يعود تاريخها إلى العصر الحجري القديم ومن بينها احد المواقع في المنطقة الشمالية في حوض سكاكا الذي يعد من مواقع العصر الاشولي أو حتى قبل الاشولي، إذ وجد فيه عدد من الدلالات الصخرية البلورية وبعض الفؤوس اليدوية وكذلك في عام ١٩٧٨ تم الكشف عن عدد من القواطع اليدوية في (٦) مواقع خمسة منها، (٥) منها في منطقة الدواسر و(١) في منطقة ليلى وغالية هذه الفؤوس بيضوية الشكل مع ميل للاستطالة والأقلية النادرة ذات رمحي مستدقة الطرف ومما لا شك فيه ان هذه الآثار تعود للعصر الاشولي[xxxv]. وبطبيعة الحال فإن وجود مثل الادوات ذات الصناعة الحجرية يشكل اهمية كبيرة ويقدم صورة واضحة لحضارة المنطقة وواقعها الاجتماعي والحياتي ووجود الفؤوس يعطي دلالات على وجود عمليات الجمع والالتقاط وقد يكون الصيد في المنطقة مما يعني اعتماد المجاميع البشرية فيها على تلك العمليات في توفير متطلبات عيشهم وديمومة استمرار حياتهم بالحصول على الغذاء الذي وفرته البيئة الطبيعية التي كانوا يعيشون في ظلها. والأمر ينطبق على بقية المواقع سواءً في السعودية أم غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية. وعندما نتتبع في دراستنا لطبيعة المواد الآثارية المكتشفة خلال العصور المتعاقبة من فترات عصور ما قبل التاريخ وبشكل رئيس العصر الحجري الحديث أو ما يسمى بالثورة الزراعية أو الانقلاب الاقتصادي نلاحظ القيمة والاهمية الكبيرة لتلك المواد المكتشفة وطبيعة استخداماتها والتي تتوازى وتتلائم مع طبيعة العصر والواقع الذي تعيشه المجاميع البشرية في ظل ظروفه واحواله. ففي السنوات الاخيرة من القرن العشرين اكتشفت آثار العصور الحجرية في منطقة شبه الجزيرة العربية بعد التحريات والتنقيبات الأثرية التي قام بها المختصون وقد تبين من خلالها ان المنطقة يوجد فيها مواقع سكنها انسان العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث. ففي أثناء مسح المنطقة الوسطى في عام ١٩٧٨ بالسعودية ثم العثور حول وإلى الجنوب من منطقة الخماسين وبالقرب من موقع السليل على مجموعة من المواقع فيها مواد تشبه إلى حدٍ كبير مواد مجموعات العصر الحجري الحديث في الربع الخالي والمنطقة الشرقية واماكن اخرى في منطقة شبه الجزيرة العربية وتتمثل تلك الآلات بأشكال نصال ذات اكتاف مشحوذة الوجهين وشظايا ورقية وأخرى ثنائية الوجه كبيرة الحجم ونصال ذوات سيلان ومقاشط وعدد من القواديم والفؤوس الحجرية المصقولة والمشحوذة وشظايا من الزجاج البركاني[xxxvi].

ان ما تم العثور عليه من تلك الآلات والأدوات التي تنضوي ضمن مجموعة الآلات الاشولية التي تعود إلى الدور الأشولي الذي يمثل أحد أدوار العصر الحجري القديم الأدنى والذي قوام الآلات بالدرجة الرئيسة صناعة الفؤوس اليدوية من الحجر فضلاً عن صناعة الشظايا والتي تتميز بوجه عام بإخراج اكثر دقة وبنهايات متقنة أو تكون اشكالها في الغالب لوزية وكذلك الآلات والأدوات التي تنضوي ضمن مجموعة الآلات الموشيرية التي تعود إلى الدور الموشيري الذي يمثل أحد أدوار العصر الحجري القديم الأوسط والذي قوام الآلات بالدرجة الرئيسة المثاقب والنصال والفؤوس اليدوية[xxxvii]. تمثل امتداداً لاستخدامات المجاميع البشرية لها في الفترة السابقة للعصر الحجري الحديث واستمرارها في العصر الحجري الحديث الذي تمثل الزراعة وتدجين الحيوانات قوامه الرئيسي في عيش الانسان وتوفير متطلبات عيشه من الغذاء والقوت مما يعكس

استمرار عمليات الجمع والالتقاط والصيد فترات طويلة حتى مع دخول المجتمعات البشرية مرحلة الزراعة وتدجين الحيوانات خلال مرحلة العصر الحجري الحديث وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية التي اجريت في المنطقة والدراسات والابحاث الآثارية والمتخصصة والتي اشارت إلى أن المجاميع البشرية في منطقة شبه الجزيرة العربية عاشوا على الصيد والالتقاط وفي حالات نادرة على الزراعة[xxxviii].

ومن جانب آخر نلاحظ وجود شظايا مصنوعة من الزجاج البركاني أو ما يسمى بالارو بسيديان وهو حجر بركاني ذو لون اسود قاتم يمتاز بصلابته الشديدة وحافاته الحادة وذلك بسبب تكونه من مجموعة من المعادن المختلفة نتيجة القذف البركاني[xxxix] يشير إلى وجود تطور شهدته مجتمعات منطقة شبه الجزيرة العربية وعيشها مرحلة تطورية تمثلت بفترة العصر الحجري الحديث الذي يؤشر استخدام الآلات وادوات مصنوعة من الزجاج أو الحجر البركاني الأسود قيام عصر جديد يختلف عن العصور السابقة التي عاشتها المجتمعات في منطقة شبه الجزيرة العربية وخصوصاً منطقة الشرق الأدنى القيم عموماً فهذا الحجر شاع استخدامه بشكل خاص في فترة العصر الحجري الحديث في اغلب مناطق الشرق الأدنى القديم كونه يمثل مادة رئيسة في الصناعة ولاسيما صناعة الآلات والأدوات الزراعية بشكل خاص كما يؤشر وجوده قيام الجماعات البشرية في منطقة شبه الجزيرة العربية بالحصول عليه من مناطق خارجية تتوافر فيها تلك الاحجار وبشكل رئيس بلاد الاناضول وعن طريق عمليات المقايضة القائمة على تبادل المواد الفائضة عن الحاجة بالمواد الضرورية للاستعمال والاستخدام الأساسي.

وتتضح اهمية اللقى والمواد الآثارية المكتشفة في مواقع منطقة شبه الجزيرة العربية خلال الفترات المتأخرة من عصور ما قبل التاريخ وبداية العصور التاريخية وبشكل رئيس فترة حضارة العبيد وهو أول الادوار الحضارية في جنوب العراق خلال فترة العصر الحجري المعدني والذي يؤرخ من حوالي (٥٠٠٠-٣٨٠٠ ق.م) وقد انتشرت حضارة هذا الدور ووجدت آثاره خارج حدود العراق في الكثير من مناطق الشرق الأدنى ومنها منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية وبشكل رئيس في الاجزاء الساحلية منها وعلى وجه الخصوص السواحل التابعة للسعودية اضافة إلى المواقع المكتشفة في داخل السعودية نفسها اضافة إلى العثور على ثقافة وآثار هذا الدور في اجزاء اخرى متعددة في المنطقة من الكويت شمالاً مروراً بالمنطقة الشرقية من السعودية وإلى جزيرة البحرين وشبه الجزيرة القطرية والإمارات وحتى عمان جنوباً. فقد عثر على مخلفات الفخار العبيدي في أكثر من (٥٠) موقعاً على امتداد الساحل المغربي للخليج[xl]. وتكتسب الآثار المكتشفة في مواقع المنطقة العائدة لذلك الدور إلى اهمية خاصة وبارزة ولاسيما الفخاريات حيث تقدم مدلولات كبيرة وهامة تتمثل في تقديمها صورة واضحة لمدى التواصل والترابط ومستوى الوشائج والصلات التي تربط بين سكانها وسكان المناطق المجاورة لها ولاسيما العراق وعمق هذا التواصل والترابط كما تبين حجم التبادل القائم على الاساس التجاري ضمن مبدأ المقايضة. فمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية تعدان امتداداً طبيعياً للعراق.

يعد سهل العراق امتداداً طبيعياً لحوض الخليج الشمالي نحو الشمال وقد برزت اهمية المنطقة كطريق تجاري عام واستمراره في التجارة والاتصالات البشرية منذ أقدم العصور[xli]. وقد أثبتت التنقيبات والتحريات الأثرية ما يؤكد ويعزز التواصل والاحتكاك الحضاري للمنطقة من خلال مراكزها الحضارية مع العراق ولاسيما حضاراته الجنوبية وبشكل خاص في عصور ما قبل الكتابة ويتخلل ذلك من خلال تشابه اشكال الأواني الفخارية التي تعود إلى عصر حضارة العبيد مع الأواني الفخارية التي عثر عليها في موقع (أم النار) في أبو ظبي في الامارات. اضافة إلى ذلك إلى ما قامت به المنطقة من دور فاعل في الاتصال بين حضارة جنوب العراق ووادي السند، إذ اكدت الآثار والمخلفات المكتشفة إلى ممارسة تجار منطقة وادي السند للعمليات التجارية مع سكان منطقة الخليج العربي ومدن العراق القديم خلال فترات العصور التاريخية ومن ذلك ما تم الكشف عنه من أواني في موقع (أم النار) التي تشبه زخارفها أواني وادي السند كذلك العثور على العديد من الأختام التي تتميز بها حضارة وادي السند في البحرين وفيلكا والعثور أيضاً على اختام في البحرين وفيلكا في وادي السند، كذلك تم الكشف في موقع (بلوخنتان) في ايران على أواني فخارية تشابه فخار مواقع (أم النار) كما عثر في نفس الموقع على اختام ترجع إلى منطقة الخليج العربي[xlii]. مما يشير بشكل واضح وجلي إلى المدى والحجم البالغ لمستوى وتطور الاتصالات والروابط الخارجية للمنطقة ووصولها مديات بعيدة في مناطق واجزاء خارج حدودها الاصلية. وعكس وجود وتوفر المعادن ولاسيما النحاس في المراكز والمحطات التجارية لمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية اهمية كبيرة تمثلت بقيمة الاقتصادية الكبيرة ودخوله في العديد من الصناعات الهامة في تلك المراكز والمحطات وبتصديره بشكل أساس إلى المناطق والمواقع

المجاورة وخصوصاً العراق. فهناك أدلة تشير إلى قيام سكان المستوطنات والقرى العراقية باستيرادها مع بعض المواد النادرة من مواقع محددة من مراكز الخليج العربي وبشكل خاص معدن النحاس، إذ تم انتاجه وتصديره عبر المراكز الخليجية إلى جانب معادن اخرى كالذهب والفضة[xliii]. وتعد دلمون (البحرين) ومكان (عمان) أبرز المراكز والمحطات التجارية التي جلبت منها تلك المعادن[xliv]. فدلمون وردت الاشارة إليها بوصفها منطقة تجارية وسطية لجلب النحاس إلى العراق وبحكم موقعها الاستراتيجي الرابط بين مركزي مكان وميلوخا (يرجح منها في وادي السند أو في الحبشة) إذ كان النحاس يجلب إليها من منطقة مكان ويتم نقله من قبل الاشخاص القائمين على تجارته بكميات كبيرة منها إلى المواقع والمستوطنات والقرى العراقية[xlv]. وقد وردت أدلة عن وجود ركائز النحاس في منطقة وكان التي تعد ثاني مركز تجاري مهم يقع على سواحل الخليج العربي[xlvi]. وان ما تم الاشارة إليه والدور الكبير والهام لتلك المعادن في المنطقة تعطينا دلائل واشارات واضحة عن امتداد زمني أقدم من التاريخ المقرر بحدود الالف الثالث قبل الميلاد الذي يؤرخ وجود قرى منتشرة في المنطقة وبشكل رئيس في عمان بممارسة السكان للعمليات التجارية كما يؤشر بأن العاملين في التبادل التجاري ورثوا هذا النشاط في زمن أقدم نتيجة الخبرة المتواصلة. كما يشير وبشكل خاص إلى الاهمية المتزايدة للمناطق التي تتوافر فيها تلك المعادن من خلال حجم الاستيراد لها من قبل المناطق والقرى المجاورة لها ولاسيما العراق.

ومن المخلفات الآثارية التي تؤشر وتعطي دليل كبير وهام لتاريخ وحضارة المنطقة المدافن. إذ كانت المدافن ولا تزال من أوضح المعالم الأثرية وأوسعها انتشاراً في المنطقة، وهي بأشكالها وحجومها المختلفة وما يحتمل اكتشافه من مواد أثرية بداخلها شكلت محفزاً رئيساً للآثاريين للاهتمام باستكشافاتها حيث تشكل المواد الأثرية المدفنية أدلة واضحة وجلية على كثير من الجوانب الفنية والصناعية ومعرفة المواد الأولية بالإضافة إلى دورها في الكشف عن جوانب من معتقدات السكان وطقوسهم[xlvii]. ويعد انتشار المدافن في المنطقة وتنوعها وطرق تخطيطها أهم المؤشرات والدلائل على الوحدة الحضارية وحدودها الواسعة في المنطقة كما مثل اتساع وتطور العقيدة الدينية عند سكان المنطقة واخذها مسارات متعددة ومتنوعة عكست تنوع وتعدد المفاهيم الدينية والعقائدية اضافة إلى وجود مفاهيم اجتماعية مرتبطة بها من ذلك تعدد تلك المدافن إلى ثلاثة أنواع تمثلت بـ: المدافن التلية، المدافن الحجرية (الرجم) والمدافن الدائرية[xlviii]. وقد مثل ذلك التعدد والتنوع دليلاً آخر على الفكر المعرفي لسكان المنطقة واستخدام مهاراتهم العقلية والبدنية في انتشار تلك المدافن إلا أنه في الوقت نفسه لا تخلو تلك المهارات والافكار من أفكار مقتبسة من المناطق المجاورة في منطقة الشرق الأدنى القديم التي كانوا على توصل مع سكانها بشكل كبير ومتزايد وحصول تأثيرات متبادلة فيما بينهم.

وفي ختام حديثنا نود أن نشير إلى اهم مخلف آثاري ترك بصمة كبيرة وبالغة في حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم عموماً ومنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية بوجه خاص هي الأختام. فالختم شكّل أهمية كبيرة وبالغة في حضارات المنطقة قاطبة لوظائفه العديدة والمتنوعة وبشكل رئيس اثبات الملكية وحقوقه وعكس قدم اكتشافه خلال الفترات المتأخرة من عصور ما قبل التاريخ اهمية هذه المادة الآثارية وقدم استخداماتها. كما قدم دلالات واشارات هامة وكبيرة إذ يمثل تعبير عن المستوى الفني العام من حيث المهارات الفنية والاساليب والموضوعات المطروقة وطرق التنفيذ والاخراج الفنيين، كما يعبر عن المستوى الفني العام عن المراحل التطورية[xlix]. كما يمثل وجوده بشكل خاص الختم الاسطواني اهمية كبيرة إذ انه يعد اكثر ملائمة للتوثيق على الطين، حيث يسهل عملية النقش عليه بزخارف ونقوش ومشاهد مختلفة وربما بعض الكتابات وعند دحرجته على الطين يترك عليه طبعة تلك الزخارف والمشاهد[l].

وجود الاختام في المناطق والمراكز الحضارية في المنطقة وانتشاره في المناطق والمراكز الحضارية المجاورة اهمية بالغة في اعطائه دلالات واضحة عن الصلات التجارية والحضارية بين تلم المراكز فعلى سبيل المثال حجر اللازورد أو الستيتايت (الصابوني) المستخدم في صناعة بعض الأختام العراقية والخليجية يفترض مسبقاً قيام صلات تجارية وحضارية بين العراق ومناطق الخليج العربي من جانب وبينها وبين مراكز تواجد هذين النوعين من الحجارة من جانب آخر حيث ان غالبية الاختام التي عثر عليها في منطقة الخليج العربي مصنوعة من الحجر الصابوني الرمادي اللون (الستيتايت) مثلما استخدم نفس الحجر في صناعة أواني عثر عليها في مناطق الخليج العربي[li]. مما يشير إلى الذوق الفني الذي عكسه هذا المخلف الأثري بالنسبة للقائمين على صناعته ومستوى الذوق الرفيع العام للسكان في المنطقة. كما عكس وجود أنواع فاخرة ونادرة من الحجر كانت متوافرة في المنطقة عملت منها تلك الأختام كذلك أن المواضيع الفنية المنفذة على الاختام الخليجية في المنطقة وتعابيرها كالرؤوس الأدقية وعيون الحيوانات والاشكال الصدفية والعلامات الكتابية المسمارية أو السندية أعطت صورة واضحة على الحس الفني والذوقي لصانعيها من السكان وابتكارهم ذوقاً فنياً رفيعاً خاصاً بهم امتزج مع الذوق الفني الذي تأثروا به واستلهموهُ من المناطق والمراكز الحضارية المجاورة.

ويشير أحد الباحثين المختصين بالتأكيد على كون الاختام مؤشراً قوياً على الصلات الوثيقة بين حضارة المنطقة والحضارات المجاورة لها وبشكل خاص حضارة العراق القديم، إذ يعتقد انه نظراً لكون الاختام في موضوعاتها ترتبط بالفكر

والدين والمعتقدات وما ينجم عنها من عادات وتقاليد واساليب حياته فإنه يعتقد بوجود نوع من الصلات البشرية وربما اصولاً مشتركة بين الطرفين(iii). وهذا يدل على الأهمية الكبرة والعميقة جداً لهذا المخلف الأثري الذي ترك بصمة كبيرة وبالغة في العلاقات والصلات بين الحضارات ولاسيما حضارة العراق ذات البعد الانساني الكبير والأصيل ومدى تطلب تلك العلاقات والصلات وبلوغها مديات كبيرة وعميقة الأثر والترابط والتداخل.

الخاتمة:

مثلت منطقة شبه الجزيرة العربية أحد أهم مراكز الحضارة الانسانية في منطقة الشرق الأدنى القديم خاصة والحضارة الانسانية بوجه عام لما تركته وخلفته من منجزات وخصائص كبيرة تركت بصماتها وآثارها الكبيرة والواضحة في المنطقة التي شكلت من خلال تلك الخصائص والمنجزات أبرز عاداتها الرئيسة والبارزة وقد أشارت نتائج المسح والتنقيبات التي اجريت في المنطقة إلى قدم تاريخها وحضاراتها والاستيطان البشري فيها فالمخلفات الآثارية التي تم الكشف عنها في مواقعها القديمة التي تعود إلى فترات العصور الحجرية القديمة تثبت عمق تاريخ وحضارة المنطقة ونشاطات المجاميع البشرية التي قامت بصناعة الآلات والأدوات المختلفة ومن مصادر الطبيعة المختلفة وسعيهم الحثيث والدؤوب في مواصلة حياتهم وتقديم عطائهم ونتاجاتهم لتستمر حضارة المنطقة وتسير بخطوات كبيرة مثلت التفاعل الكبير والحي لسكانها مع تلك الحضارة وتطويرها وزخرها بكل أوجه العناصر والمقومات الحضارية والاستفادة من البيئة الغنية الثرة كمصادر للعيش والرقي والتطور لتبرز المحطات والمراكز التجارية المتعددة والمنتشرة على طول ارجاء المنطقة ولتكون ساحة للتبادل والتأثير والتواصل مع المراكز الحضارية المجاورة لها في المنطقة لتأثر وتتأثر وتنصهر في بودقة واحد مثلت حضارة منطقة الشرق الأدنى القديم قاطبة وبما حملته آثارها ومخلفاتها وشواهدها البارزة والزاخرة من دلالات ومفاهيم حضارية قدمت صورة واضحة وجلية لتاريخ وحضارة المنطقة وعمق هويتها واصالتها ورقيها الحضاري وجوانب من التاريخ والحضارة التي نهلت منها الأجيال المتعددة والمتعاقبة جوانب فكرها وتراثها الكبير الذي مثل تاريخها وحضارتها على مر العصور.

الهوامش:

(i) الهاشمي، رضا جواد، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٩.

(ii) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، موصل، ١٩٩٤، ص ١٤.

(iii) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، موصل، ١٩٩١، ص ١٨.

(iv) الملاح، المصدر نفسه، ص ١٨.

(v) حازم، حسين يوسف، الملك الآشوري شلمنصر الثالث ٨٥٩-٨٢٤ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، ٢٠٠١، ص ٥٠.

(vi) الكيلاني، لمياء-الالوسي، سالم، أول العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد، عمان، ١٩٩٩، ص ١٢.

(vii) الهاشمي، رضا جواد، "من مصادر تاريخ العرب القديم"، مجلة بين النهرين، مج٣٢، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٧٣.

(viii) الكيلاني-الالوسي، المصدر السابق، ص ١٣.

(ix) العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، موصل، ١٩٨١، ص ١١-١٢.

(x) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، المصدر السابق، ص ٣١-٣٣.

(xi) الدباغ، تقي، الوطن العربي في العصور الحجرية، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٣٠.

(xii) الشيخ يعقوب، نبيل يوسف، "المنطقة الشرقية في عصور ما قبل التاريخ-واحة القطيف"، مجلة الواحة، ع٣٣، ٢٠٠٨. وينظر ايضاً:

هوسلينن نورمان-ديفيز، ديلبو-بيزر، ديفيد، "الهجرات المبكرة التي تمت في العصر الحديث الأدنى (البلايستورسيني) داخل المملكة العربية السعودية"، مجلة اطلال، ع١٢، ١٩٨٩.

هويلن، نورمان-بيز، ديفيد دبليو، "التفاوت في الأدوات الحجرية ثنائية الوجه العائدة للعصر الأول، واني المتطور والاشولي في المملكة العربية السعودية"، مجلة الاهلال، ع ١٣، ١٩٩٠.

(xiii) Potts, D., T., ''The late prehistoric, protohistoric and early historic periods in eastern Arabia (Ca. 5000-2000 B. C.)'', Journal of world prehistory, Vol. 7, No. 2, 1993.

(xiv) الشيخ يعقوب، نبيل يوسف، "الاستيطان المبكر في المنطقة الشرقية عين السيح"، مجلة الواحة، ع ٢٦، ٢٠٠٢، ص ٦-١١.

(xv) الشيخ يعقوب، "المنطقة الشرقية"، المصدر السابق.

(xvi) سليم، احمد أمين، جوانب من تاريخ حضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٩١.

(xvii) كسار، أكرم عبد، "وحدة حضارة وادي الرافدين والخليج العربي في ضوء المكتشفات الآثارية"، مجلة آفاق عربية، السنة السابعة عشر، ١٩٩٢، ص ٥٢-٥٣.

(xviii) Dates, J., ''Prehistory in north eastern Arabia'', In: Antiquity, Vol. 50, 1976, P. 20

(xix) الطلبي، جمعة، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، بغداد، ٢٠١٨، ص ٣١.

(xx) الهاشمي، رضا، "جوانب من تاريخ الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ المدافن الخليجية ومدلولاتها الحضارية"، مجلة سومر، ع ٣٦، ١٩٨٠، ص ١٧-١٨.

(xxi) الطلبي، المصدر السابق، ص ٣١-٣٢.

(xxii) الهاشمي، رجا جواد، "صلات العراق القديم التجارية بمناطق الخليج العربي"، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع ٧، ١٩٧٢، ص ١٩.

(xxiii) Tosi, M., ''Dilmun'', In: Antiqity, Vol. XLV, No. 177, 1971, PP: 21-24.

(xxiv) علي، عبد القادر حسن، "المحطات التجارية في الخليج العربي في الالفين الثالث والثاني ق.م"، مجلة النفط والتنمية، ع ٧-٨، ١٩٨١، ص ١٧٠-١٧١.

(xxv) الهاشمي، رضا جواد، "التجارة"، في: حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(xxvi) الطلبي، المصدر السابق، ص ٣٣.

(xxvii) الطلبي، المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٤.

(xxviii) الهاشمي، آثار الخليج العربي، المصدر السابق، ص ٩١.

(xxix) الطلبي، المصدر السابق، ص ٣٧.

(xxx) الطلبي، المصدر نفسه، ص ٣٧-٣٨.

(xxxi) آل ثاني، هيا علي جاسم، "مخلفات عصور ما قبل التاريخ في منطقة شرق شبه الجزيرة العربية"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، ع٨، ١٩٩٦، ص ٢٤١.

(xxxii) الهاشمي، آثار الخليج العربي، المصدر السابق، ص ٩٥-٩٦.

(xxxiii) حول تلم المواقع يراجع:

- الدباغ، المصدر السابق.
- الهاشمي، آثار الخليج العربي، المصدر السابق، ص ٨٧-١١٥.
- الطلبي، المصدر السابق، ص ٣٩-٤٩.

(xxxiv) حول تلك المواقع يراجع: الدباغ، المصدر السابق، ص ١٤٦-١٥٥.

(xxxv) الدباغ، المصدر السابق، ص ٥٦.

(xxxvi) الدباغ، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣١.

(xxxvii) Hawkes, J., Woolley, L., History of mankind, London, 1963, p. 78.

وينظر ايضاً:

الدباغ، تقي-الجادر، وليد، عصور ما قبل التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص ٦٩، ٧٨.

(xxxviii) الدباغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣١.

(xxxix) Hawkes-Woolley, op. cit, p. 146.

(xl) سليمان، عامر، العراق في التاريخ-موجز التاريخ السياسي، موصل، ١٩٩٢، ص ٩٢. وينظر ايضاً: الطلبي، المصدر السابق، ص ٧٠.

(xli) كسار، المصدر السابق، ص ٥٢-٥٣.

(xlii) سليم، احمد امين، جوانب من تاريخ حضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٩١.

(xliii) الهاشمي، رضا جواد، "المقومات الاقتصادية لمجتمع الخليج العربي"، مجلة النفط والتنمية، السنة السادسة، بغداد، ١٩٨١، ص ٨٤.

(xliv) Moorey, ''The Archaeological evidence'', op. cit, P. 14.

(xlv) Tosi, ''Dilmun'', op. cit, p. 21.

(xlvi) علي، "المحطات التجارية"، المصدر السابق، ص ١٧٠.

(xlvii) الهاشمي، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(xlviii) الهاشمي، المصدر نفسه، ص ١١٨-١٢٤.

(xlix) الهاشمي، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(l) ناجي، عادل، "الاختام الاسطوانية"، في: حضارة العراق، ج٤، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢١.

Also See:

Middleto, S. H., Seal, Finger rings engraved gems and amulets in the royal albert memorial museum Exeter, Exeter city museums, 1998, P. 1.

(li) الهاشمي، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(lii) الهاشمي، المصدر السابق، ص ٥٨، ١٦٤.